# دور التعليم في تأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية

أ. جمال حسني الزروق
جامعة الفاتح

## المقدمة :

قد ظلت القارة الأفريقية قرونا عديدة فاقدة لوعيها بذاتها وبهويتها الثقافية والقومية ولوحدتها ، بسبب نقص التعليم فيها وما ترتب عن هذا النقص من تخلف اقتصادي واجتماعي ، مما يسر استعمارها وجعلها لقمة سائغة للغزاة الغربيين المستعمرين ، عندما بدأت حركة الاستعمار الغربي الحديث ، مدفوعة بدافع الجشع والرغبة في توسيع رقعة نفوذها وفي الحصول على ثروات وخامات أفريقيا وفي تسخير الطاقات البشرية الأفريقية في خدمة التنمية الزراعية والصناعية الأوربية وما كان للمستعمرين الأوروبيين ، على اختلاف أوطانهم ، لينجحوا في استعمارهم لمعظم أجزاء القارة الأفريقية ، لو كانت أفريقيا قوية ماديا ومعنويا ، فضعف أفريقيا المادي والمعنوي في تلك الأزمنة التي سبقت عهد الاستعمار جعلها مستعدة ومهيأة لما تعرضت له من الاستعمار . وإذا كان ضعفها المادي في ذلك الوقت يتمثل في تخلفها العلمي والتقني والصناعي والاقتصادي وفي قلة زادها من وسائل القتال والدفاع الحديثة التي واجهها بها الغزاة الغربيون المستعمرون ، فان ضعفها المعنوي كان يتمثل في تخلفها الثقافي والحضاري والاجتماعي وفي عدم وحدتها وفي قلة وعيها بذاتيتها وهويتها وشخصيتها المتميزة وفي ضعف استعدادها النفسي لمواجهة الخطر الخارجي وتحدي الأعداء الطامعين في خيراتها وثرواتها المادية والبشرية على السواء . ولعل النوع الثاني من الضعف وهو الضعف

المعنوي كان أكثر خطورة أكثر إعاقة لها في مواجهة ما تعرضت له مـن غزو وأخطار مواجهة ايجابية ناجحة (1) .

ولكن من حسن الحظ أن حالة التخلف الثقافي والحضاري وفقدان أو ضعف الوعي الوطني والقومي تلك ما لبثت أن تغيرت بعض الشيء فـي أواخر عهد الاستعمار ، وذلك بفعل التعليم الذي أتيحت فرصته لعدد قليـل من أفراد الشعوب الأفريقية ، وبفعل ما أتيح لبعض الأفارقة من التفاعل مع عناصر الحضارة الحديثة والاحتكاك بها في الداخل والخارج .

ونتيجة لهذا التغير الثقافي والحضاري والاجتماعي في أفريقيا بدأت اليقظة الحديثة في أفريقيا ، وبدأ معها الوعي الوطني والقـومي ، وبـدأت المقاومة للمستعمرين ، وأخـذت تتزايـد الحركـات والثـورات الوطنيـة والنزعات الاستقلالية .

وقد انتهت هذه اليقظة الأفريقية بعد صراع مرير وجهـاد طويـل وتضحيات جمة بدحر الاستعمار المباشر وانحسار ظلمته عن معظم أجزاء القارة الأفريقية ، وبتحقيق الاستقلال السياسي لمعظم الأقطار الأفريقية .

وقد ساعد على تحقيق هذا الاستقلال السياسي بجانب تلك الـصحوة أو اليقظة الثقافية والسياسية وما صاحبها من وعي بالذات وكفـاح وجهـاد وتضحيات عوامل خارجية كثيرة ، لعل أهمها ما أسـفرت عنـه الحـرب العالمية الثانية من هزيمة لبعض الدول التي كانت تستعمر بعض أجزاء من أفريقيا، وذلك مثل ايطاليا ، ومن إنهاك لقوي دول مستعمرة أخـري رغـم انتصارها الظاهر في الحرب وذلك مثل بريطانيا كما ساعد على ذلك ظهور بعض القوي والمتغيرات الجديدة في السياسة الدولية ، وذلك مثل تأسـيس هيئة الأمم المتحدة كمنبر سياسي تطالب الشعوب من خلالهـا بحقهـا فـي الحرية والاستقلال .

وقد كان الاستقلال السياسي الذي حققه معظم الأقطار الأفريقية بداية مرحله جديدة من الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي أوسع مدى وأكثـر عمقا مما كان عليه قبل الاستقلال . وقد أخذ هذا الـوعي ينمـو ويتطـور

ويتجدد ويتسع باستمرار ، حتى وصل إلى ما وصل إليه اليوم من القوة والوضوح التنوع في الاهتمامات والاتجاهات .

ومن أهم مظاهر هذا الوعي الثقافي والاجتماعي والسياسي الجديد في أفريقيا هو الاهتمام المتزايد بتأكيد الأصالة أو الهوية الثقافية الأفريقية ، وتزايد الثقة بالتعليم كأهم عامل من عوامل تأكيد هذه الأصالة أو الهوية الثقافية وهما المظهران اللذان يهمنا الحديث عنهما بإيجاز عن دور التعليم في تأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية .

وسيتم تناول هذا الموضوع في أطار النقاط الخمس التالية :

- مفهوم الأصالة الثقافية .
- دواعي تأكيد الأصالة الثقافية في أفريقيا .
- أهمية تأكيد الأصالة الثقافية في أفريقيا .
- التعليم كأهم عامل من عوامل تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية في أفريقيا .
- شروط ومقومات التعليم الذي يمكن أن يكون عاملا من عوامل تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية في أفريقيا .

**أولا : مفهوم الأصالة الثقافية**

فبالنسبة لمفهوم الأصالة ، فأنه من الصعب الإتيان بتعريف للأصالة الثقافية جامع لجميع مظاهرها وخصائصها ومؤشراتها ، وذلك لكثرة هذه المظاهر والخصائص والمؤشرات . ولكن رغم هذه الصعوبة، فقد حاول كثير من العلماء والمفكرين تعرف أو تفسير الأصالة . وكان معظم التعريفات والتفسيرات التي أتوا بها جاءت ناقصة وقاصرة لاعتمادها على قدر محدود من مظاهر وخصائص ومؤشرات الأصالة. وكانت في مجموعها متأثرة بنزعة واضعيها وبتخصصهم وبالمجال الذي يتحدثون فيه عنها .

( أ ) ومن التفسيرات الكثيرة التي ذكرت للأصالة هي التي تدعونا إلى التماس قيمنا الأساسية في مجال الحركة ، صيانة للكيان من الذوبان ومحافظة على الذاتية ، وتحقيقها للنفع والاستفادة من التجارب الإنسانية دون فقدان للهوية .

وهذا يعني تكامل الحاضر مرتبطا بالماضي ومتصلا بالمستقبل، فليست الدعوة إلى الأصالة تستهدف الجمود أو تقليد الماضي ، وإنما هي الارتباط بالخطوط الممتدة من ماضي الأمة إلى مستقبلها ، ومرورا بحاضرها ، إنها الارتباط بالمنابع الأصلية التي انطلق منها فكر الأمة "(2).

( ب ) ومن التفسيرات الحديثة للأصالة أيضا لا تعني الأصالة العودة إلى القديم واجترار الماضي والفخر بالآثار والاعتزاز بها ، وكأن الماضي يحتوي على قيمة في ذاته ، وكأن العودة إليه تكون غاية في ذاتها وليست وسيلة لتعميق الجذور واكتشاف معوقات الحاضر أو الدوافع على تقدمه ولا تعني الأصالة التقوقع على الذات ، ورفض الغير، والنفور من الغريب ، باعتباره مستوردا دخيلا .

فالأصالة بهذا المعنى عزلة وفراغ وتجمد وتقلص ، ثم ضمور واضمحلال وفناء . فالذات لا تقوى إلا بالغير وفي صراعها معه أو تمثلها له ، فالذات قدرة على الخصوبة والنماء وطاقة على الحركة والحياة ، تضمر باختفاء المعارض ، وتموت بانتهاء الباعث ، وتذبل إذا ما غاب التحدي (3) .

وتعني الأصالة البحث عن الجذور ، والتأسيس في الأعماق . وقد كان البحث عن الأصل والجذور الأساس لأحد مطالب الحكماء القدماء والمحدثين ، سواء في تراثنا القديم أو في التراث الغربي : في حركات العودة إلى الأصول ... فكل تغيير بلا أساس يكون حدثا أهوج في التاريخ، لا يبقى ولا يستمر ، قشرة خارجية سرعان ما تتكسر إذا ما تحركت الأعماق ونبتت الجذور . الأصالة بهذا المعنى شرط المعاصرة ، وسبب استمرارها، والمحافظة عليها ، والضامن لها .

كما تعني الأصالة أيضا التجانس في الزمان والتواصل في حياة الشعوب ، وأن يكون حاضرها استمرارا لماضيها ومستقبلها استمرارا لحاضرها ، فلا يقع الانفصام في شخصيتها ، ولا تحدث الازدواجية في ثقافتها بين أنصار الأصالة وأنصار المعاصرة ، بين دعاة القديم والجديد، بين التعليم الديني والتعليم العلماني ، فيحدث تعارض مصطنع بين الأصالة

والمعاصرة ، وكثيرا ما يتحول إلى تيارين متصارعين على مستوى الممارسة والسلوك ، وينتهي الأمر إلى ضياع الوحدة الوطنية .

كما تعني القضاء على معوقات التقدم في الحاضر والقضاء عليها من الأساس ، وذلك باستئصال الجذور التاريخية للتخلف المتراكمة من الماضي في وجدان الشعوب ، حتى يمكن أن تتحقق المعاصرة بسهولة ويسر في زمان أقل وبرسوخ أكثر ، وبرؤية تاريخية واعية ، وبتدبر وتدبير بعيدا عن التخبط والعشوائية ...

كما تعني أيضا دفع مسار التقدم ، وذلك باكتشاف دوافعه المتراكمة أيضا في الماضي في وجدان الشعوب ، حتى تتحرك الجماهير دون ما حاجة إلى دعاية سياسية ... إذ تكون حركة الجماهير حينئذ حركة تلقائية تسهم في التقدم ، ولا تعتبره غريبا عليها ، ولا تعتبر نفسها مقحمة عليه .

( ج ) وبجانب هذين التفسيرين ، هناك تفسيرات أخري كثيرة ذكرت "للأصالة " أو الهوية الثقافية . وهي تتشابه فيه بينها ، وتركز في مجموعها على أعراض ومظاهر وخصائص ومؤشرات الأصالة الثقافية بحيث يمكن اعتبارها من قبيل تعريف أو تفسير الظاهرة بأعراضها ومؤشراتها . وهو أمر شائع ومستساغ في الظواهر والأمور التجريدية التي يصعب أو يستحيل التعرف على كنهها وحقيقتها ، والأصالة من هذا القبيل .

والتعليم من الوسائل والسبل الممكنة لتأكيد وتحقيق هذه الأصالة الثقافية في أفريقيا . ولكن قبل عرض هذا المفهوم ، لا بد أن نشير منذ البداية إلى أن منطلقنا في تحديد المفهوم هو منطلق إسلامي في المقام الأول، لأننا لا نستطيع أن نأتي بمفهوم للأصالة يتعارض مع روح الإسلام في قارة يدين معظم سكانها بالإسلام . كما علينا أن نشير إلى أن الثقافة التي ندعو إلى تأصيلها والرجوع إلى أصولها وثوابتها لتشمل في مفهومها الانثرولولوجي الواسع جميع ما تمتلكه أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات من معتقدات وقيم وعادات وتقاليد وأعراف ونظم وأنماط وأساليب معيشية مختلفة ، وذلك بالإضافة إلي ما أنتجته وأبدعته هذه الثقافة من فكر وأدب وفن .

ومن هذا المنطلق وعلى هذا الأساس ، فان الأصالة الثقافية الأفريقية بالنسبة للمسلم المثقف الأفريقي تعني : الإيمان بالله وبأهميـــة وضـــرورة العمل الصالح في الدنيا وبالحساب والجزاء على ذلك في الأخـــرة وتحكـــيم شريعة الله في شؤون الحياة وعدم استبعاد عنصر الدين عن الحياة العلـــم والحياة ( وعدم استبعاد عنصر الدين عن الحياة ) ، والتوفيق بـــين العلـــم والدين من جهة وبين العلم والحياة من جهة أخري ، والارتباط بالمنـــابع الأساسية للفكر الإسلامي ، بما في ذلك منبع أو مصدر الاجتهـــاد الفقهـــي الذي يعترف بالتحديث والتطور في حياة المجتمع وفي حاجاته ومـــشكلاته وقضاياه ، ويحاول أن يجد لها الحلول المناسبة التي تتمـــشى مـــع مبـــادئ وقواعد ومقاصد الدين والشريعة العامة وقيم الدين الأساسية ، وفي الوقـــت نفسه تساير روح العصر وتلبي احتياجاته .

كما تعني الأصالة التمسك بالأخلاق الحميدة الأصلية التي يأتي فـــي مقدمتها الصدق والأمانة ، الوفاء بالعهد والثبات علي المبـــدأ ، والالتـــزام بالحق ، ومقاومة الظلم والانحراف ، والعبودية لله وحـــده ، والثقـــة بـــالله وبالنفس ، وضبط النفس والطمأنينة والسكينة ، واليقين وقـــوة العزيمـــة ، والإحساس بالعزة والكرامة ، وصيانة الحرمات أن تنتهك والأعـــراض أن تهتك والأخلاق أن تهدر والآداب أن تقبر ، والشجاعة والـــشهامة والنخـــوة والنجدة والشم وإباء الضيم ، والإخـــلاص ، والحلـــم والرحمـــة والـــشفقة والإيثار ، والعفو عند المقدرة ، والصبر على المشقة ، والرضاء بقضاء الله وقدرة ، والإخاء ، والتعاون والتضامن والمودة ، والحياء ولزوم الحـــشمة والوقار والعفة ، والتواضع ن والعدل ، والاعتدال ، واحترم العمل وتقـــدير الواجب والمسؤولية والعلم ، إلى غير ذلك من الأخلاق الحميدة المستمدة من القيم الإسلامية والإنسانية الثابتة : قيم الحق والخير والجمال والعدل والإخاء الإنساني التي تتفرع عنها جميع الأخلاق الفاضلة التي لن يـــضل فـــردا أو مجتمع تمسك بها وحافظ عليها (4) .

وفي المجال الفكري، والأدبي، والفني ، والاجتماعي والـــسياسي ، فان الأصالة التي نود تأكيدها وتحقيقها في الثقافة الأفريقية تعني ، التوفيـــق بين الروح والمادة وبين العلم والدين ،والإيمان بأهمية العقـــل وبـــضرورة

أعماله والرجوع إليه في كل ما يواجه الإنسان من مشكلات مادية في هذه الحياة .

**ثانيا : دواعي تأكيد الأصالة الثقافية في أفريقيا**

ان دواعي تأكيد الأصالة الثقافية في أفريقيا فان كل من درس تاريخ أفريقيا الحديث دراسة فاحصة واعية ولاحظ بدقة وعمق ما حدث فيها في السنوات الأخيرة من تغيرات ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية يدرك هذه الدواعي ويلمس الحاجة الماسة إلى أعطاء مزيد من الاهتمام إلى تأكيد هذه الأصالة الثقافية في أفريقيا في جميع خطط ومشاريع التنمية الأفريقية وفي جميع الجهود التي تبذل في سبيل تطوير وتحسين الحياة في أفريقيا حاضرا ومستقبلا ومن هذه الدواعي والأسباب والمبررات الداعية لتأكيد هذه الأصالة تمكن الإشارة إلى ما يلي : ـــ

( أ ) ما يلاحظ على الحياة الأفريقية وما يجري في مجتمعاتها وبين صفوف شبابها ،وبخاصة في المدن الأفريقية الكبيرة ، من تقليد أعمى للثقافة الغربية واستنساخ كامل لهذه الثقافة بكل ما فيها من مساوئ وشرور ومظاهر تتنافى مع القيم الأفريقية الأصيلة المستمدة من دينها وتراثها وتاريخها ، ومن تبني للنموذج الغربي المعاصر بوصفه نموذجا للعصر كله أي النموذج الذي يفرض نفسه تاريخيا لصيغة حضارية للحاضر والمستقبل (5) .

وكانت النتيجة لهذا التبني أن غرس النموذج الحضاري الغربي في البلدان الأفريقية التي كانت مستعمرة لقوى استعمارية غربية بدون استنبات لأسسه في الداخل ، بل نقل من الخارج جاهزا ، وغرس غرسا بالإغراء حينا وبالقوة حينا آخر . وأصبحت الثقافة الغربية الأجنبية الدخيلة تغزو أفريقيا من كل صوب وفي جميع مجالات حياتها . وكانت النتيجة لهذا الغزو الثقافي الغربي الأجنبي فصل أفريقيا عن جذورها الثقافية وعن منابع فكرها وطمس معالم شخصيتها وهويتها المتميزة ، وتكريس تبعية ثقافتها لنمط الثقافة الغربية وتكريس تمزقها وانقسامها وتشرذمها الفكري ، وتركها في مهب رياح التأثيرات الوافدة من الغرب ورياح التغير الاجتماعي والثقافي غير الموجه ، دون أن يكون لها مرشد يرشدها ويهديها إلى سبيل الأصالة الحقة .

( ب ) الفهم الخاطئ للأصالة ولمكوناتها ومؤشراتها ومقوماتها وشروطها لدى كثير من الأفريقيين أفرادا وجماعات ، وهو الفهم الذي يعوق التقدم نحو تحقيق الأصالة الحقيقة ، بل قد ينفر منها ، ويكون سببا في إضعاف شانها والتقليل من قيمتها وتجنب الخوض فيها ، وبخاصة ممن يدعون العلم والثقافة والتقدمية والتحمس للتغيير والتجديد والأخذ بأسباب المعاصرة والحداثة (6) .

ومن مظاهر هذا الفهم الخاطئ للأصالة الضار بتأكيدها ما سبقت الإشارة إليه عند الحديث عما لا يدخل في مفهوم الأصالة . ويمكن أن نشير في هذه الفقرة إلى مزيد من هذه المظاهر التي تكون في مجموعها مبررا وسببا داعيا إلى توضيح الأصالة بمعناها الحقيقي وإبراز ضرورة تأكيدها ، وذلك فيما يلي :

1- فهم الأصالة على أنه يكفي في تأكيدها وتحقيقها مجرد تغيير اسم البلد أو اسم حاكمة وأسماء بعض الشخصيات البارزة فيه من أسماء غربية إلى أسماء أفريقية واستبدال لثوب الأوروبي بالثوب الأفريقي .

2- ومن مظاهر هذا الفهم الخاضىء للأصالة الثقافية الأفريقية أيضا فهمها على أنها دعوة إلى تقديس الماضي لمجرد أنه ماض أو تعصب للقدم لمجرد قدمه أو دعوة للانغلاق والاكتفاء الذاتي في مجال الثقافة والعلم أو انكباب على النفس وزهد في الحياة وتصوف سلبي وإهمال للواقع المعاش ، أو مقاومة للتفتح الثقافي الوعي والتفتح العلمي من أجل تطوير وتجديد الحياة ، أو معاداة للتقديم والتطوير والتجديد والتحول الاجتماعي والحداثة (7) .

( ج ) والمبرر الثالث لتأكيد الأصالة الثقافية في أفريقيا يتمثل في الغزو الثقافي الذي يجتاح أفريقيا في الوقت الحاضر ، وما صاحبه أو ترتب عليه من تغريب واغتراب ثقافي أو فقدان للهوية الثقافية الأفريقية ، وتوجه علماني وفصل للدين عن الدولة ، وتشويه للدين وإلصاق ما ليس منه به ، وإضعاف للغة العربية واعتبارها لغة دخليه في أفريقيا ، وإحلال للحرف الأجنبي الغربي محل الحرف العربي حتى في البلدان الأفريقية المسلمة كالصومال مثلا ، وفي البلدان الأفريقية التي تتكلم بلغات أفريقية أقرب إلى

اللغة العربية منها إلى اللغات الغربية وكانت تستعمل الحرف العربي ، وبها نسبة عالية من المسلمين الذين يرجعون إلى أصل عربي ، وذلك مثل تنزانيا التي يتكلم شعبها اللغة السواحيلية إلى غير ذلك من مظاهر وآثار الغزو الثقافي والاستلاب الثقافي والتبعية الثقافية التي تعتبر أخطر نتائج الغزو الثقافي والتي تقوم عليها أشكال التبعيات الأخرى كتبعية التعليم وتبعية الاقتصاد وتبعية السياسية وتبعية التشريع ، وما إلى ذلك من التبعيات التي يجر إليها الاستعمار بنوعيه المباشر وغير المباشر : الاستعمار السياسي والاستعمار الثقافي ، وقد جر الأفارقة بالفعل إلى هذه التبعيات "وأفقدهم جذورهم الثقافية والاجتماعية والسياسية وأفقدهم القدرة على تجديد مقوماتهم الثقافية ، وبدأوا في تقليد ومحاكاة النظم الغربية (8) .

وفقدان أفريقيا لفرصة تطورها التلقائي في مجال الدين والتعليم والاجتماع والسياسة والاقتصاد لم يحرمها من الإسهام في تطوير الحضارة العالمية فحسب ، بل انه في الوقت ذاته جعل المجتمع الأفريقي يسلم نفسه للتوتر وعدم الاستقرار والفوضى الاجتماعية والسياسية الناتجة عن النزعات الفكرية بين العناصر التقليدية وبين المقلدين للنهج الأوروبي .

( د ) ومن دواعي ومبررات تأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية أيضا التغير الاجتماعي الكبير والواسع الذي حدث ولا يزال يحدث في المجتمعات الأفريقية ، والذي يخرج في كثير من مظاهره وجوانبه عن نطاق التخطيط والتوجيه ، ولا يفرق بين الثوابت والمتغيرات ولا بين الأصول والفروع ولا بين العقائد والمعارف . وقد شمل هذا التغير كافة جوانب الحياة والثقافة الأفريقية ، بما في ذلك المعتقدات والقيم والعادات والتقاليد وأنماط ونظم وأساليب المعيشة والحياة ووظائف الأسرة وأدوارها ، وما إلى ذلك من جوانب الحياة ومكونات الثقافة (9) .

وكان من نتائج هذا التغير الاجتماعي والثقافي الأفريقي غير المخطط له التخطيط الدقيق وغير الموجه التوجيه السليم في ضوء قيم الدين الإلهي والثقافة الأفريقية الأصيلة ما يلي : -

1- ضعف سلطان الدين والعقيدة في نفوس الشاب الأفريقـــي المـــسلم والمسيحي على حد سواء ، وضعف التزام هؤلاء الشاب بتطبيـــق تعاليم الدين وممارسة عباداته وشعائره.
2- ضعف وازعهم الخلقي ، وانتشار ظاهرة شرب الخمور بين الشاب وغيرهم ، وبخاصة في المدن الأفريقية الكبيرة .
3- ضعف سلطان التقاليد والرقابة الاجتماعية .
4- ضعف دور الأسرة وتزايد الصرع القيمي بين جيل الكبار وجيـــل الشاب حول كثير من القـــضايا الاجتماعيـــة مثـــل دور الأســـرة ومسؤولياتها ودور المرأة في المجتمع وحريتها وحقها في التعلـــيم والعمل ودور الكبار في توجيه النشيء وحكمتهم واحترامهم الذي كان أمرا مسلما في الماضي ، وحول كثير من القضايا الاجتماعية الأخرى .

ومن هذه النتائج السلبية لذلك التغير الاجتماعي والثقافي الأفريقـــي غيـــر الموجه : ـــــ

1-انتشار ظاهرة العنف والاحتيال
2- ضعف الوازع الديني والخلقي .
3- ضعف الانتماء الوطني والقومي .
4- بروز ظاهرة الاغتراب عن المجتمع والخروج عـــن القـــيم والتقاليـــد المتوارثة .
5 - التمزق والتشرذم الفكري .
6- الانبهار بثقافية الغرب .

وللاكتفاء بأخذ النتائج والإعراض عن المبادئ والأسس التي تمكـــن وراءها ، فقدان الطابع الأفريقي المميز في الحياة ، وتغلب السطحية علـــي التعمق والتقليد على الاقتباس البصير والأنانية علـــي الغربـــة ، وانتـــشار ظاهرة السلبية بين الناس وضعف مشاركتهم في حياة مجتمعهم وفي شؤونه العامة ، بل قلة اكتراثهم بما يجري في مجتمعهم لضعف انتمائهم الـــوطني ووازعهم الديني الخلقي .

من النتائج السلبية أيضا :

التمرد علي القديم والشعور بأن التقاليد والأساليب والوسائل القديمة قد أصبحت عاجزة عن متابعة الحياة في تطورها المستمر وعن الوفاء باحتياجات الإنسان الحديث ، والانكباب في الاستهلاك الذي يبعثر الموارد ويضعف الادخار ويبدد المناعة ويزيد من التخلف والتبعية ، وضعف الإنتاجية في أفريقيا بصورة عامة ما نلاحظه من ضعف في معدلات النمو فيها في فترة السبعينات وما بعدها.

كذلك انتشار الاضطرابات والأمراض النفسية بأنواعها ومستويات حدتها المختلفة ، وبخاصة بين الشباب ، ومن هذه الاضطرابات : القلق أو الخوف من المستقبل المجهول ، والانطواء على الذات ، والاكتئاب والشعور بالغربة والاغتراب عن المجتمع وبضعف الهوية والانتماء إلي المجتمع وبضعف الدور وعدم الأهمية والفائدة في الحياة وبعدم وضوح الهدف وضعف الأمل في المستقبل ، والشعور بعدم جدوى ما يقال وما يكتب في ظل ما هو قائم من قمع وكبت للحريات ونفاق وتملق للسلطة الحاكمة ، وبالتناقض بين ما يقال ويذاع وبين ما هو قائم بالفعل وبين القيم الروحية والقيم المادية .

## ثالثا: أهمية تأكيد الأصالة الثقافية في أفريقيا

ويلزم من التسليم بوجود حاجة ماسة إلى تأكيد الأصالة أو الهوية الثقافية الأفريقية بكل ما لها من مؤشرات ومظاهر ومكونات سبقت الإشارة إليها ، ويلزم التسليم أيضا بأهمية هذا التأكيد للأصالة وبما يمكن أن يحققه هذا التأكيد من فوائد ونتائج إيجابية للمجتمعات الأفريقية .

ومن بين الفوائد والنتائج التي يمكن أن يحققها تأكيد هذه الأصالة للمجتمعات الأفريقية تمكن الإشارة الموجزة إلي ما يلي :

( أ ) إن تأكيد الأصالة أو الهوية الثقافية الأفريقية في مختلف مجالات الحياة ومنا شطها من شانه أن يعيد للدين قدسيته وهيبته في النفوس ، ويسهم في ترسيخ القيم الدينية والخلقية الأصيلة في واقع حياة الناس ، ويجعل معيار التمشي مع تعاليم الدين وقيمة أحد المعايير الرئيسة التي يقاس بها أي تقدم أو تطور في المجتمع الأفريقي ، ويسهم في الارتقاء بالإنسان الأفريقي دينيا

وخلقيا وفي تخليصه من الازدواجية التي يعيش فيها بين ما يؤمن به ويعتقده و بين ما يطبقه في حياته العامة .

( ب ) إن تأكيد الأصالة أو الهوية الثقافية الأفريقية من شأنه أن يسهم أيضا في إحياء وتدعيم التقاليد الاجتماعية الأفريقية الأصيلة وفي تأكيد الشخصية الأفريقية المتميزة في عاداتها وتقاليدها وأنماط وأساليب حياتها وفي زيادة ترابطها الأسري والاجتماعي كما من شأنه أيضا أن يزيد من العطاء الفكري والثقافي ولأدبي ويرفع من مستواه ويجعله قادرا على اختراق ميدان الفكر العالمي وعلى اكتساب احترام مفكري وأدباء العالم لأصالته . وليس في تأكيد هذه الأصالة ما يتنافي مع الأخذ بأسباب التقدم والحداثة ، والتفتح على الثقافات الأخرى ، والاقتباس منها كل ما هو نافع ومفيد ومدعم لمصادر الذاتية ، وبخاصة في مجال العلوم والتكنولوجيا والتنظيم والإدارة والتخطيط والبحث العلمي ، علي أن يتم توطين وتطويع ما يتم اقتباسه وتكييفه حسب مقتضيات القيم والظروف والإمكانات الأفريقية .

( ج ) فان تأكيد الأصالة أو الهوية الثقافية الأفريقية في جميع جوانب ونظم ومناشط الحياة الأفريقية من شأنه أيضا أن يكسب الفرد في أفريقيا ثقة بالنفس وبالثقافة الأفريقية التي ينتمي إليها ، ويزيد اعتزازه بالانتماء إلي هذه الثقافة ، ويحصنه ضد تيارات وعناصر الثقافة الغربية الضارة وضد الوقوع في مهاوي الاستلاب الثقافي والتغرب والغربة والاغتراب الفكري والنفسي وضد الوقوع في مهاوي القلق والاضطراب النفسي والفراغ والروحي والازدواج الفكري والهامشية في الانتماء ، وبالتالي يزيد من تكيفه مع نفسه ومع مجتمعه الأفريقي ومع الثقافة القائمة في هذا المجتمع ، ويزيد من رضائه عن نفسه وعن مجتمعه الأفريقي ومن مشاركته في شؤون حياة مجتمعه ومن تحمله لمسؤولياته وواجباته الاجتماعية والوطنية والقومية ومن إنتاجيته وقدرته علي العمل و والابتكار ومن استقلاله الفكري ورفضه للتبعية الفكرية والثقافية .

( د ) كما أنه من شأن التأكيد على الأصالة الثقافية الأفريقية أن يفيد المجتمع الأفريقي ككل في نواح كثيرة ، وقد يكون من أهمها : أنه يوفر له الأساس الذي ينطلق منه ويقيم عليه خطط تنمية الشاملة ونظم حياته المختلفة والذي يراعيه في جميع ما يحدثه من تجديدات وتحولات في حياته

وفيها يقتبسه من الثقافات والحضارات الأخرى ، وبذلك لا يقع في الحيرة التي وقع فيها بعض المجتمعات الأخرى التي قلدت مجتمعات أخرى تختلف عنها في أصولها وجذورها الثقافية تقليدا أعمى .

( هـ )إن تأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية من شأنه أيضا أن يجعل الشعوب الأفريقية تعي ذاتها وتاريخها ، وتربط حاضرها ومستقبلها وبماضيها وتنطلق نحو مستقبلها برؤيا واضحة وخطوات ثابتة ، وتثق في نفسها وفي ثقافتها ، وتقف على قدم المساواة مع الشعوب الأخرى عندما تحتك بها وبثقافتها وتأخذ منها ما ليس عندها، وتفرق بين الأصيل والدخيل في حياتها ، وتبعد عن التبعية للقديم لمجرد أنه قديم أو للحديث لمجرد أنه حديث ، بل تأخذ من هذا وذاك ما يدعم ذاتيتها ويؤكد وجودها وحاضرها ويوجه مستقبلها ويعزز تضامنها ووحدتها ويزيل الصورة المشوهة التي يحملها الغرب عنا لأسباب تاريخية وسياسية لا مجال للحديث عنها .

( و ) يضاف إلى كل ما تقدم ، أن تأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية من شانه أيضا أن يدعم العلاقات الأفريقية العربية ، وذلك لاشتراك الشعوب العربية الأفريقية في الكثير من الأصول والمقومات الجغرافية والعرقية والثقافية والتاريخية واللغوية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وذلك بحكم الجوار الطبيعي والارتباط الجغرافي (10) .

**رابعا- التعليم كأهم عامل من عوامل تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية في أفريقيا:**

وإذا ما سلمنا بالحاجة إلى تأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية وبأهمية هذا التأكيد ، فانه من حقنا أن نتساءل : ما هي السبل والوسائل التي يمكن أن تساعد في تأكيد هذه الأصالة وتوصل إلي تحقيقها ؟

ونحن إذ نجيب عن هذا التساؤل ، لابد أن نشير إلى أن هذه الوسائل والسبل وان كانت كثيرة ومتنوعة ، فان أهمها وأكثرها فاعلية في تحقيق النتائج المرجوة على المدى القريب والبعيد على السواء هو التعليم الذي رأينا التركيز على بيان الدور الذي يمكن أن يقوم به في تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية الأفريقية ولكن قبل بيان هذا الدور ، فانه قد يكون من

المفيد أن نشير في إيجاز وإجمال إلي بعض الوسائل والسبل الأخرى غيـــر التعليم التي يمكن أن تسهم وتساعد في تأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية .

ومن الوسائل والسبل : توفير الرعاية الدينيـــة والروحيـــة للـــشباب الأفريقي وللأفارقة بعامة ، وإعطاء الدين حقه من التطبيق في حياة النـــاس وإبراز ما فيه من معاني الأصالة والمثل العليا ومبادئ الشورى والحريـــة والكرامة والعدالة بين الناس ، وتدعيم الأسرة وحمايتها من عوامل الضعف والانحلال ، ونشر لواء العدل والمساواة وتكافؤ الفرص بين الناس ، ورفع كافة أنواع الظلم والتفرقة غير العادلة بينهم ، وتضييق الفجوة الاقتـــصادية والاجتماعية ، وتقليل الفوارق الاقتصادية إلي أقل قدر ممكن بين مختلـــف فئات السكان وبين مختلف المناطق الجغرافية في البلاد ، والقـــضاء علـــى مسببات ضعف الأمة وتجزئتها من طائفية وعصبية عرقية وقبلية وإقليميـــة ومذهبية ،وما إلى ذلك من أنواع العصبيات المذمومة ، وزيـــادة التـــضامن والتعاون والتكامل والتجانس في النظم والقوانين بـــين الـــشعوب والـــدول الأفريقية ، تمهيدا لوحدتها في شكل من أشكال الوحدة ، لما هذه الوحدة من زيادة لقوة الأمة الأفريقية ولقدرتها على رفع الظلم عن أبنائها ، ومن رفـــع لشأنها بين الأمم ، ومن زيادة لهيبتها في نفوس أبنائها وتقوية لا انتمـــائهم إليها واعتزازهم بالانتساب إليها .

ومن هذه الوسائل أيضا :

1- الاهتمام بجمع التراث الأفريقي وبخاصة المكتوب منه ، والتعرف على محتويات هذا التراث ، وتصنيفه ، وتحقيق ونشر الصالح منه لإبـــراز العطاء الأفريقي وكشف الإسهام الذي قام به الأفريقيين في خدمة الثقافة الأفريقية والإسلامية والإنسانية.

2- إقامة أعلام جماهيري موجه نحو تأكيد الأصـــالة الثقافيـــة الأفريقيـــة ، وإبراز ايجابيات التاريخ الوطني والقومي الأفريقي وايجابيات التـــراث الأفريقي والإسهام في توعية الجماهير الأفريقية دينيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا وسياسيا في إطار القيم الأفريقية ومبـــادئ دينهـــا الـــسماوي وأصول ثقافتها الأصيلة .

هذه بعض الوسائل والسبل والعوامل التي يمكن أن تسهم ايجابيا في تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية الأفريقية بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وهي على أهميتها وفاعلية دورها في تأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية ، لا تعني عن عامل التعليم ولا تحل محله . فالتعليم الأفريقي الصالح الموجه في فلسفته وأهدافه وسياساته واستراتيجياته وخططه ومناهجه وبرامجه وطرائقه وأساليبه وخدماته وإدارته والعلاقات السائدة فيه نحو تأكيد وتحقيق الأصالة الثقافية الأفريقية هو خير وسائل وسبل تحقيق هذه الأصالة .

ومن الوظائف والمهام الأساسية للتعليم فى أفريقيا التي يستطيع من خلالها الإسهام في تأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية وفي تحقيقها هي الوظائف والمهام التالية :

( ا ) الإسهام في تطبيع وتنشئه النشىء الأفريقي وإكسابه قيم مجتمعه الأفريقي وعاداته وتقاليده الأصيلة ، وتعريفه بالأحداث البارزة في تاريخ أمته وبالدروس والعبر التي يمكن أن تستفاد من الأحداث التاريخية التي تقدم إليه والتي يمكن أن تساعد في توجيه حياته الحاضرة والمستقبلية وتنمي لديه روح الفخر والاعتزاز بأمته وثقافتها وتاريخها وبما قدمه أسلافه عبر تاريخهم الطويل من بطولات وتضحيات وإسهامات ونجاحات وانجازات في كافة مجالات الحياة ، كما تنمي لديه مشاعر الولاء والانتماء الوطني والقومي ، وتزيد من ارتباطه بثقافة أمته ومن اندماجه في هوية أمته الثقافية المتميزة ، وذلك بالإضافة إلى ما لها من قيمة في تطبيع وتنشية النشيء وتهيئيه للحياة في مجتمعه الأفريقي بايجابية .

( ب ) الإسهام في توعية وتثقيف أفراد المجتمع الأفريقي وجماعاته سواء من لا يزالون منهم يتابعون تعليمهم الرسمي ، أو أتم منهم هذا التعليم المقصود الرسمي ودخلوا في زمرة الكبار ، أو من لم تتح له فرصة التعليم المنظم أصلا .

ومن النواحي التي ينبغي أن تستهدفها هذه التوعية العامة أو التثقيف العام الذي يعتبر أحدي وظائف التعليم في المجتمع : تعريف المتعلمين وأفراد المجتمع الأفريقي بعامة بأصول دينهم وعقيدتهم الدينية

وبمعطيات تاريخ ونضال أمتهم الأفريقية وكفاحها عبر تاريخها الطويل بالتحديات والمشكلات التي واجهت أمتهم في ماضيها وتواجههـا فـي حاضرها .

وما ينبغي أن يستهدف تحقيقه أيضا جهود وبرامج ومناشط التثقيف العام التي تقوم بها وتقدمها مؤسسات التعليم في المجتمع الأفريقي ترسـيخ القيم الدينية والخلقية والوطنية والقومية والإنسانية فـي نفـوس المتعلمـين وأفراد المجتمع الأفريقي بعامة .

والمؤسسات التعليمية تستطيع أن تسهم في تحقيق مـا تقـدم عـن طريق مناهجها ومناشطها المختلفة التي تتم داخل الفصول الدراسية وفـي الساحة المدرسية ، وعن طريق ما تسهم به في برامج تعليم الكبار ومحـوا لأمية ، وعن طريق ما تنظمه من محاضرات وندوات عامة لأهل المنطقـة التي توجد هي فيها ، وما تسهم به في حملات التوعية الثقافية والاجتماعية وما تقوم به مراكز البحث العلمي التابعة لها من أبحاث ودراسـات تتعلـق بمختلف المشاكل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وتفيـد بمعطياتهـا فـي عمليات التوعية وفي عمليات التغير والتحـول الثقـافي والاجتمـاعي .

( ج ) المحافظة على التراث الأفريقي الأصيل وعلى مـا يتـضمنه هـذا التراث من قيم ومعان خلقية وتقاليد أصيلة ، وتنقية هذا التراث مما عـسى أن يكون قد لحق به في فترات الضعف والانحدار ، وتعزيـزه وتدعيمـه وتنميته وتطويره وتحديده باستمرار ، ونقل الصالح منـه إلـى الأجيـال الأفريقية الصاعدة لربطها بتراث وتاريخ وقيم أمتها ، وتـشجيع الأبحـاث والدراسات وإقامة المؤتمرات والندوات والمهرجانات ذات العلاقة بالتراث، والتوسع في تحقيق المخطوطات والكتب التراثية التي لم تحقق بعد والعمل على نشر ما يتم تحقيقه وعلى إعادة طبع ما سبق طبعه من كتب الأصـول في ثوب جديد .

( د ) تيسير تعليم اللغة العربية على النشيء الأفريقي المـسلم ، وتـدعيم مركزها في القافة الأفريقيـة وفـي المجتمعـات الأفريقيـة ، وبخاصـة المجتمعات الإسلامية منها ، وذلك باعتبارها لغة القرآن الكـريم ، ولغـة رسول الإسلام محمد الأمين صلى الله عليه وسلم ، واللغة التي دونت بهـا

السنة النبوية المظهرة التي جاءت شارحة ومفسرة ومفصلة ومبينة ومخصصة ومقيدة لما تضمنته نصوص القرآن الكريم ، واللغة التي احتوت جل الثقافة الإسلامية الأصيلة ودون بها حل التراث الإسلامي ونفائس الفكر الإسلامي في عصور ازدهاره ، وهي النفائس التي لا يمكن فهم محتوياتها بعمق بدون الإلمام الكافي باللغة العربية .

وبفضل ما تملكه هذه اللغة من قوة وبيان وجمال ومرونة وقدرة على استيعاب احدث الأفكار والتجارب الثقافية والحضارة ومن خصائص متنوعة كالاشتقاق والترادف والقياس وما إلي ذلك من الخصائص والإمكانيات .

إن العربي الذي يدعو إلي تدعيم مركز اللغة العربية وتيسير تعلمها في أفريقيا لا يدفعه إلي دعوته هذه تعصبه للعرب أو للثقافة العربية ، وإنما الذي يدفعه هو غيرته على الدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية ورغبته في أن يرى إخوته المسلمين في أفريقيا ، وقد تمكنوا من فهم تعاليم دينهم وفكرهم الإسلامي الأصيل في لغته الأصلية ومن ممارسة عباداتهم وشعائرهم الدينية على الوجه الصحيح السليم الذي يمكن أن يتحقق بدون الإلمام الكافي باللغة العربية .

إذ لا يستطع المسلم في أفريقيا أو في غيرها أن يصلي بغير تكبيرة الإحرام باللغة العربية ، وبغير قراءة الفاتحة باللغة العربية أو يحرم في الحج أو يلبي بغير اللغة العربية أو أن يتلو القرآن وتعتبر تلاوته عبادة بغير اللغة العربية ، ومن ثم ، فإن من يدعو إلي تدعيم اللغة العربية في أفريقيا المسلمة فإنما يدعو لذلك ، لأن هذه اللغة هي لغة القرآن أولا ، ولغة السنة ثانيا ، ولغة العبادات الإسلامية ثالثا ، ولأنها الوعاء الفكري لجانب كبير من التراث الإسلامي والفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية رابعا ، ولأنها العنصر الهام والمؤثر في وحدة المسلمين وتقوية الروابط بين شعوبهم وربط حاضرهم بماضيهم خامسا (11) .

وتعلم اللغة العربية في أفريقيا ، بجانب كونه واجبا دينيا على كل مسلم أفريقي ، فانه أمر يحتمه تأكيد أصالة الثقافة الأفريقية والعلاقة الوثيقة بين الثقافة الأفريقية واللغات الأفريقية وبين الثقافة العربية واللغة العربية ، والتأثير المتبادل بين الطرفين التوأمين المتكاملين .

وتعتبر اللغة العربية إحدى اللغات الأفريقية ، بل أكبر هذه اللغـــات وأقدمها كتابة (12) .

( هـــ ) النظم والمؤسسات التعليمية الأفريقية التي تهمنا هي تجديد الكتاتيب أو المدارس القرآنية التقليدية التي توجد في كثير من البلدان والمجتمعـــات الأفريقية ، وإعادة الحياة إليها من جديد وتجديد وتطوير مبانيها وأجهزتهـــا وأثاثها ، وتطوير مناهجها وبرامجها ووسائلها التعليمية ، بحيـــث تـــشمل مناهجها ، بجانب تعليم الكتابة والقراءة وتعليم القرآن الكريم ، تعليم المواد الأساسية التي تعلم عادة في مدارس المرحلة الابتدائيـــة الحديثـــة ، كـــذلك الاهتمام بتحسين وتطوير أساليب إعداد معلميها قبل الالتحاق بالعمل ، ثـــم تعهدهم بالتدريب المستمر أثناء الخدمة ، بحيث تـــشمل بـــرامج إعـــدادهم وتدريبهم ، بجانب حفظ القرآن الكريم والإلمام بضبطه ورســـمه وتجويـــده وبعض علومه الأخرى ، إعدادا أكاديميا وثقافيا مناســـبا وبعـــض الأســـس والمجتمع المحلي (13) .

( و ) التعليم في أفريقيا التي لها صلة بتأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية هي بناء الوعي بأهمية العلاقات الثقافية بين الـــشعوب الأفريقيـــة والـــشعوب العربية، وإبراز وشائج القربى والأصول الحضارية المـــشتركة وعلاقـــات الارتباط المتين بين الأقارقة والعرب عبر مختلف العـــصور والأزمـــان ، وتشجيع وتدعيم التعاون والتبادل العربي الأفريقي فـــي شـــتى المجـــالات الثقافية والاقتصادية والسياسية ، علـــى أســـاس مـــن الأصـــول الثقافيـــة والحضارية المشتركة والقيم المتماثلة والمصالح المشتركة للشعبين الأفريقي والعربي ، وكشف الآثار السلبية للاستعمار الغربي على العلاقات العربيـــة الثقافية ، وكشف التشويه المتعمد للتاريخ المـــشترك ، وتـــرويج الأفكـــار الخاطئة عن الروابط التاريخية بين المجموعتين العربية والأفريقية .

فالعلاقات الثقافية العربية ــ الأفريقية كانت ولا تزال عبر مختلـــف العصور حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها ولا تجاهلها ، ولكنها رغـــم ذلـــك تعرضت لتعتيم منهجي ولتشويه منظم ، ولتخريب مقصود ، باسم البحـــث عن الحقيقة ، خدمة لأهداف سياسية ، وتزكية لمطامع عدوانية سخر لهـــا النظام الاستعماري الأوروبي ، فبدأ التحريف التـــاريخي فـــي العلاقـــات

الحضارية بين الوطن العربي والعالم الأفريقي ، فصورهما على أنهما نمطان متعارضان (14) .

( ز ) ووظيفة التعليم في أفريقيا التي لها صلة بتأكيد الأصالة الثقافية الأفريقية وفي الوقت نفسه لها صلة أيضا بتأكيد المعاصرة أو الحداثة في الثقافة الأفريقية ، تتمثل في مساعدة البلدان والمجتمعات الأفريقية على الأخذ بأسباب العلم والتقنية الحديثة ، وعلى تنمية القدرة الذاتية في مجال العلم والتقنية مع الاحتفاظ بشخصيتها الثقافية والحضارية وعلى تنمية الفن الإنتاجي الخاص بها الذي يتمشى مع إمكاناتها المالية وظروفها السكانية والاجتماعية والاقتصادية ويساعدها على زيادة إنتاجها بمعدلات تفوق معدلات استهلاكها وعلى مسايرة التقدم العلمي والتقني في المجتمعات المتقدمة وعلى تطوير بنموذجها الخاص بها في التنمية الذي يتفق مع ظروفها وإمكاناتها الذاتية ومع قيم المجتمع الأفريقي وثقافة الخاصية .

إن خير أنواع التنمية هي التنمية الشاملة التي تتبع أساسا من الداخل، وتعتمد على استثمار الموارد الداخلية للمجتمع ، وتتم على أيدي أبناء الأمة ويشاركه جميع من لها عندهم معني وبانسجام مع القيم الثقافية للمجتمع الجديرة بالاحترام .

ويدخل في إطار هذه الوظيفة للتعليم الأفريقي ، مساعدة الأفارقة على غربلة ما تخرجه مراكز البحث العلمي ومؤسسات العلم العالمية وانتقاء عناصره الصالحة والمناسبة لمجتمعاتهم واستبعاد غير الصالح وغير المناسب منه ، وعلى نقل التكنولوجيا الحديثة وعلى توطينها وتطويعها حسب احتياجات ومتطلبات ومقتضيات المجتمعات الأفارقة وعلى بناء جيل جديد من العلماء والمهندسين والمهنيين الجيدين القادرين على حمل رسالة العلم والعمل وعلى الانسجام مع مجتمعهم الأفريقي المباشر وعلى الاندماج في المجتمع العلمي الدولي ، ويدخل في إطار هذه الوظيفة توفير المناخ للعلماء والباحثين العلميين للحيلولة دون هجرتهم إلي الخارج ، ووقف نزيف الكفاءات العلمية والتقنية من البلدان الأفريقية والآسيوية ومن البلدان النامية عموما بتقليل عوامل الجذب التي توفرها البلدان المتقدمة إلي هذه الكفاءات وتوفير فرص العمل المناسبة لهم وتوفير فرص التقدم العلمي والترقي الوظيفي أمامهم .

**خامسا– شروط ومقومات التعليم لتأكيد وتحقيق الأصـــالة الثقافيـــة فـــي أفريقيا:**

ولِيستطيع التعليم في أفريقيا أن يسهم في تأكيد وتحقيـــق الأصـــالة الثقافية الأفريقية ، لا بد أن تتوافر فيـــه شـــروط وخـــصائص وصـــفات ومقومات معينة تؤهله للقيام بهذا الدور الهام والخطير .

ومن بين هذه الشروط والخصائص والمقومات يمكن أن نشير فـــي إيجاز بالغ إلي ما يلي : ـــــ

1) أن يتخذ التعليم من التراث الأفريقي الأصيل ومن الثقافة ومن الإســـلام بالنسبة للأفارقة المسلمين وما فيها من قيم مبثوثة ومبادئ إنسانية لها قيمـــة توجيهية في الحياة ، كمصادر أساسية لفلسفته والمبادئ والمنطلقات العامـــة التي ينطلق منها لتحديد أهدافه وسياساته واستراتيجياته واختيار محتويـــات مناهجه وبرامجه واختيار طرائقه وتحديد خدماته ، فأنه لا بد لهذا التعليم في بناء فلسفته من التفتح على جميع الثقافات والحضارات الخارجية والاستفادة من كل ما هو صالح ونافع من معطياتها ، ومن نبذ التعصب بجميع أنواعه العرقية واللونية والقبلية والطائفية والقومية والفكرية والأيديولوجية .

2) أن التعليم يؤكد في فلسفته وأهدافه وسياساته واستراتيجياته ومخططاتـــه ومحتوياته ومناهجه وإدارته والعلاقات الـــسائدة فيـــه القـــيم الديمقراطيـــة والإنسانية الأصيلة التي تعلي من شأن كرامة الفرد والمواطن الأفريقي ومن قيمته في الحياة ، وتؤكد حقه في الأمن والتقدير والاحترام وتأكيـــد الـــذات وفي المعاملة العادلة وفي الفرص المتكافئة مع غيره من المـــواطنين وفـــي حرية الرأي والتعبير والحركة وفي المشاركة الإيجابية الحرة فـــي شـــؤون مجتمعه ، وتعترف بالفروق الفردية بين الناس وبالتنوع الثقـــافي والعرفـــي واللغوي في المجتمع .

3) ويهتم التعليم في أهدافه بتكوين الشخصية المتكاملة والمتوازنة في نموها والقادرة على تحمل مسؤولياتها في تنمية مجتمعها الأفريقي والتي تجمع بين العلم والإيمان ، وبين العلم والعمل ، وبين الفكر والتطبيق ، وبين الاهتمام بمصالحها الفردية والاهتمام بمصالح المجتمع الذي تعـــيش فيـــه ، وبـــين

الأصالة والتجديد في أفكارها واتجاهاتها ، وبين المحافظة على الهوية الأفريقية وما يرتبط بها من قيم وعادات وتقاليد أصيلة والتفتح الواعي والمتبصر على كل ما هو نافع ومفيد في العالم الخارجي ، وبين قبول التنوع الديني والثقافي واللغوي والعرقي في المجتمع الأفريقي والإيمان بالوحدة في الهوية الثقافية الأفريقية العامة والإسهام الفعال في تأكيد وتحقيق هذه الوحدة .

4) ويربط التعليم في مناهجه وبرامجه ومنا شطه المختلفة دراسة التراث بالواقع المعاش والحياة الحاضرة ، ويختار من هذا التراث ما يتمشى مع الواقع ويخدمه ويفيد منه ويوجه تطوره المستقبلي ، لأن الواقع لا يستطيع أن يستوعب من التراث إلا ما كان ملائما ونافعا له ، كذلك لابد لهذا التعليم من أحداث التوازن المرغوب بين الدراسات التراثية والإنسانية والعلوم الطبيعية والتطبيقية ، وبين النظرية والتطبيق .

5) والتعليم يؤكد في طرائقه وأساليبه الحرص على إشراك المتعلم في العملية التعليمية وعلى تنمية قدراته على الخلق والإبداع والتفكير العلمي المستقل وعلى الجدل العلمي الموضوعي والحوار الحر الموضوعي البعيد عن العنف وعلى التوفيق لا التلفيق بين المواقف والآراء المختلفة وعلى الغوص في دراسة الظواهر ومحاولة الوصول من وراء ذلك إلي بواطن الأمور والتعرف على كنهها وعلى تحليل الواقع تحليل يهدف إلي الكشف عن بنيته وإلي استخراج ثوابته ومتغيراته وعلى ربط الفكر بالواقع والتطبيق العملي وعلى التعليم الذاتي ، وأن يأخذ بمبادئ الديمقراطية والعلاقات الإنسانية والتعاون والشورى في إدارته وفي ضبط النظام في مؤسساته ، ويأخذ بجميع مبادئ التربية الحديثة ، لكن بدون أن يفتقد نقطة البدء ودون أن ينفصل عن ثوابت ثقافته الأصيلة وعن الطابع المميز لهويته الأفريقية .

## الهـــوامـــش

1) مؤتمر التعليم من أجل التحرير في أفريقيا ، مدنية سبها ، الجماهيرية ، سنة 1988م .
2) أنور الجندي ، الأصالة ، تونس ، دار بو سلامة للطباعة والنشر والتوزيع ، سنة 1989م ، ص 3 .
3) حسن حنفي ، الأصالة والمعاصرة ، مجلة المستقبل العربي ، العدد التاسع والعشرون ، سنة 1981 م ، ص ص 129،130 .
4) أحمد الشرباصي ، موسوعة أخلاق القرآن ، بيروت ، دار الرائد العربي ، 1971م .
5) محمد عابد الجابري ، إشكالية الأصالة والمعصرة ، بيروت ، دار الرائد العربي ، 1987م ص ص 54،55 .
6) محي الدين صابر ، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (وقائع ندوة بهذا العنوان) الخرطوم ، فبراير 1981م .
7) يوسف فضل حسن ، العلاقة بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (وقائع ندوة بهذا العنوان) تونس ، 1985م .
8) سليمان كيجوندو ، الاستعمار الثقافي في أفريقيا جنوب الصحراء ، (ندوة بهذا العنوان) جنوب أفريقيا ، سنة 1987م .
9) طاهر حمدي كنعان ، العربية ــ الأفريقية المعاصرة ، مجلة المستقبل العربي ، العدد الثالث والخمسون ، يوليو 1983 م .
10) أحمد مختار أمبوا ، المشكلات العالمية ، مجلة التربية الجديدة ، العدد السادس والعشرون ، أغسطس 1982م .
11) محمد أبو زهرة ، الوحدة الإسلامية ، بيروت ، دار الرائد العربي ، 1989م ص ص 285، 286 .
12) يوسف خليفة ابوبكر ، الحرف العربي واللغات الأفريقية ، ندوة العلاقات بين الثقافة العربية والثقافات الأفريقية ، 1988م .
13) عبد القادر يوسف ، دراسات في إعداد وتدريب العاملين في التربية ، الكويت ، دار السلاسل ، 1987م.
14) فرانسوا بيرو ، فلسفة التنمية الجديدة ، مترجم عن الفرنسية ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، 1983م ص ص 21،52 .